الظواهر الأسلوبية في شعر نازك الملائكة

Stylistic phenomena in the poetry of Nazik Al-Malaika

الدكتورة آسية داحو*

تاريخ الإرسال: 2022/12/25	تاريخ القبول: 04 /2023/03	تاريخ النشر: 10 /2023/05

الملخص:

اخذ مصطلح الأسلوب حيزا كبيرا من الاهتمام منذ القديم إذ اعتبر من أهم القضايا البلاغية فاستحوذ على حصة الأسد في مؤلفاتهم أما في العصر الحديث فقد أصبح موضوع علم لغوي مستقل بذاته عرف بالأسلوبية في ظل التطور الحاصل على مستوى الحقول اللغوية و النقدية وكذا تداخل العلوم مع بعضها داخل الحقل اللساني الذي فرض العديد من المصطلحات و الأفكار الجديدة.

وتمتلك الأسلوبية مصطلحين في غاية الأهمية "ظاهرة الإنزياح والمفارقة"إذ تعتبران ظاهرتان من ظواهر الأسلوبية حيث ظهرتا في العديد من قصائد الشعراء المعاصرينوعلى رأسهم نازك الملائكة وسنحاول من خلال هذه الصفحات عرض أهم ظاهرتين أسلوبيتين .

الكلمات المفتاحية: الأسلوب، الأسلوبية، المفارقة، الانزياح، نازك الملائكة، دراسة نقدية.

Abstract:

Stylistics is a term that has taken a great deal of attention. In the past, it was considered one of the deadliest of rhetorical issues, as they included it in their writings. In the modern era, it has become an independent linguistic science subject in itself known as stylistics in light of the development taking place at the level of linguistic and monetary fields, as well as the overlap of sciences with each other within the linguistic field that Imposing many new terms and ideas.

Stylistics possesses two very important terms, "the phenomenon of displacement and paradox", which are considered two of the phenomena of stylistics, as they appeared in many poems of contemporary poets.

Keywords: method, stylistics, paradox, displacement, Nazik al-Malaika, critical study.

assiadahou@yahoo.com*

المؤلف المرسل: أسية داحو assiadahou@yahoo.com

*** *** ***

مقدمة:

الأسلوب هو الطريقة التي يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها إذ يختار المفردات ويصوغ العبارات، ويأتي بالمجاز والإيقاع اللذين يناسبان نصه حتى قيل إن الأسلوب هو الرجل وترجع الأسلوبية إلى العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير (1857-1913) واضع علم اللسانيات والذي استطاع التفريق بدقة بين اللغة والكلام بمعادلته الشهيرة"اللسان في نظرنا هو اللغة ناقص الكلام"، أما الأسلوبية فتهتم بدراسة النص الأدبي، وتعد منهجا في دراسة الأدب ونقده وهي متأثرة ببعض العلوم الأخرى التي تدرس النص الأدبي إذ أنها تدرس خصائص الأسلوب والصور الشعرية والمجازات والإيقاع وما فيه من جناس وأصوات ولغة والإيقاع وما فيه من جناس وأصوات ولغة الشعر فضلاً عن الغموض وتوظيف الأسطورة والحكم والأمثال وبذلك تتصل اتصالاً وثيقا لمباحث البلاغة العربية القديمة وقد تعددت مصطلحات الأسلوبية ومفاهيمها وآليات اشتغالها ويعتبر الإنزياح والمفارقة من أشهر هذه المفاهيم التي ظهرت مع الشعرية الحديثة وذلك لأنّ اللغة الشعرية تختلف عن غيرها اختلافاً كبيرا،فاللغة العلمية مثلاً تميل للأسلوب التقريري المباشر الذي تكاد تتقدم فيه نسبة التأويل مما يجمع المتلقي أمام دلالة واحدة على العموم رغم اختلاف المتلقين ومستوياتهم الثقافية، وعليه يترتب علينا معرفة مفهوم الانزياح والمفارقة؟ وكيف جسدتهم نازك الملائكة في شعرها؟

2- الانزياح:

لغة: جاء في مقاييس اللغة "الزاء و الياء و الجاء أصل واحد " وهو زوال الشيء وتنحيه يقال: زاح الشيء يزيح، إذا ذهبا [1].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: انزاح انزياحا فهو منزاح والمفعول منزاح عنه، وانزاح الشيء: زاح، ذهب وتباعد، وانزاح عن مقعده: تنحى عنه وتباعد[2].

وهكذا فالانزياح في اللغة يرتبط بالذهاب والتباعد والتنحي وفي كل هذا تتغير لحالة معينة وعدم الالتزام بها، وإذا كانت الدلالة اللغوية الأولى مرتبطة بالمكان فإنّ الأمر يتوسع لغيره، فيقال زاح عني المرض أو الباطل : زال عني.

اصطلاحاً: اشتهر مفهوم الانزياح وانتشر في الدراسات النقدية والأسلوبية وكان السبب في الاهتمام بهذا المفهوم يرجع بالأساس إلى البحث عن خصائص مميزة للغة الأدبية عموماً والشعرية خصوصاً.

وقد تبنى هذا المفهوم عدد من الباحثين والنقاد ومنهم "جون كوهن" الذي يرى أنّ الشرط الأساسي والضروري لحدوث الشعرية هو حصول الانزياح باعتباره خرقا للنظام اللغوي المعتاد،[3]فالانزياح كما في دلالته اللغوية خروج عن المألوف والمعتاد وتجاوز للسائد والمتعارف عليه والعادي وهو في الوقت نفسه إضافة جمالية يمارسها المبدع لنقل تجربته الشعورية للمتلقي والتأثير فيه، بالخروج عن المألوف وتجاوز للسائد وخرق للنظام انزياحا فتحقق فيه جمالية التأثير يقول جوهن كوهن: "الأسلوب هو كل ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة...،هو مجاورة بالقياس إلى المستوى العادي ، فهو إذا خطأ مراد".

ومن أكثر التعريفات الواردة تعريف فاليري الذي قال: "إنّ الأسلوب في جوهره انحراف عن قاعدة ما".

يرى ريفاتير أنّ الانزياح يكون خرقا للقواعد حينا، ولجوءا إلى ما ندر حينا آخر ، فأما في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذا تقييما بالاعتماد على أحكام معيارية وأما في صورته الثانية فالبعث فيه من مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة [4].

ويرى بيار جيرو أنّ الأسلوب هو انزياح écant بالنسبة إلى معيار Norme وقال أنّ كل انزياح لغوي يكافيء انحرافا Déviation عن المعيار على مستوى آخر، مزاج، وسط، ثقافة...".

أما قاموس جون ديبوا، فيشير إلى أنّ الانزياح حدث أسلوبي ذو قيمة جمالية يصدر عن قرار للذات المتكلمة بفعل كلامي يبدو خارق Transarressant لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمى معيارا Norme يتحدد بالاستعمال العام للغة مشتركة بين مجموع المتخاطبين بها[5].

2-2اهتمامه:

رغم أنّ الانزياح مصطلح حديث ارتبط بالأسلوبية وبالشعرية الحديثة فإنّ المفهوم يمتدإلى البلاغة اليونانية، فنجد عند أرسطو الذي كان يفرق بين اللغة العادية المعروفة والشائعة وبين اللغة الغربية غير المألوفة مؤكداً أنّ الثانية هي اللغة الأدبية [6].

أما في البلاغة العربية القديمة فصور الانزياح عرفت اهتمام البلاغيين رغم أنهم لم يعرفوا المصطلح فإنهم بحثوا في ظاهرة الخروج عن القاعدة والمألوف بتسميات مختلفة تشكل في النهاية علم البلاغة، فدرسوا الاستعارة والتقديم والتأخير والعدول إلى غير ذلك من المباحث البلاغية.

ويعد عبد القاهر الجرجاني من أبرز النقاد الذين تطرقوا لمواضيع تلامس بقوة مفهوم الانزياح بمعناه الحديث، حيث أولى عناية خاصة للعدول، وعدّه ميزة كبيرة للشعر.

أما في العصر الحديث اهتم بعض النقاد العرب في مفهوم الانزياح وعلى رأسهم عبد السلام المسدي، في كتابه (الأسلوب والأسلوبية) وصلاح فضل، وتمام حسان ومحمد العمري وغيرهم إلا أنّ الملاحظ أنّالنقادالعرب يصطلحون على المفهوماصطلاحات مختلفة، حيث تتداخل مع مصطلح الانزياح عدة مصطلحات أهمها العدول.

3-2 العدول:

لغة: هو الميل والانعراج وبذلك فإنّ العدول في اللغة هو الدلالة على حياد الشيء عن وجهته وإمالته عنها.

اصطلاحا: فهو ميل عن النظام و الأصل اللغوي[8]،إنه الانتقال بالألفاظ في النص من سياقها المألوف إلى سياق جديد غير اعتيادي مما يثير التساؤل ويلفت النظر و الانتباه.
وقد اعتبر أبو عبيدة العدول من أشكال المجاز في القرآن الكريم، بقوله " ومجاز ما جاء لفظه لفظ الواحد و وقع على الجميع، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد ومجاز ماجاء الجميع في موضع الواحد...، وكل هذا جائز قد تكلموا به[9].

4-2 التغريب:

مصطلح من أدبيات الشكلانيين الروس وهو سمة أدبية تميز النص الأدبي عن غيره، وهو فعل قصدي من المبدع كما يظهر من دلالته الصرفية، فالمبدع للنص الأدبي خاصة النص الشعري يسعى إلى تغريب لغة نصه لصدم المتلقي من خلال الخروج على ماهو معتاد، وذلك من أجل كسب تفاعله مع النص، وقد كان أول مادعا إليه الشكلانيون ضرورة تجاوز الطابع التقريري للأدب، واقترحوا من الوسائل لتحقيق ذلك مفهوم التغريب،أي فعل المألوف لدى المتلقي غريبا عن طريق التنويعات الفنية.

5-2 أنواع الانزياح:

يمكن تقسيم الانزياح عموما إلى قسمين: انزياح لغوي وانزياح غير لغوي.

فأما الانزياح غير لغوي فهو خروج عن السائد والعرق في المجتمع، وخرق للعادات والتقاليد والأعراف فهو ذو طبيعة اجتماعية ثقافية.
والانزياح اللغوي يرتبط بالنص وينقسم بدوره إلى نوعين:

6-2 الانزياح الدلالي (الاستبدالي):

فهذا النوع من الانزياح هو الأشهر والأكثر دلالة وتأثيرا في القارئ يقول عنه صلاح فضل رغم أنه يسميه انحرافات "الانحراف الاستبدالي يخرج على قواعده الاختيار للرموز اللغوية، كمثل وضع الفرد مكان الجمع أو الصفة مكان الاسم أو اللفظ الغريب بدل المألوف[10].

وهذا النوع يعرف في البلاغة بالصورة الشعرية أوالبلاغية، ويعد التشبيه والاستعارة والمجاز من أهم أشكال هذا الانزياح الدلالي.

الانزياح التركيبي يرى صلاح فضل أنّ هذا النوع من الانزياح يتصل "بالسلسلة السياقية الخطية للإشارات اللغوية، عندما تخرج على قواعد النظم و التركيب، مثل الاختلاف في ترتيب الكلمات[11]،فإذا كانت اللغة تفرض نمطا أو قانونا تركيبيا معينا فكل خروج عن هذا القانون يعد انزياحا تركيبيا، سواء كان الخروج يمس ترتيب السلسلة الكلامية، أي التقديم والتأخير، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَاتُرجَعُونْ**﴾ سورة مريم الآية 40.

ففي الآية الكريمة تقديم الجار والمجرور ﴿إِلَيْنَا تُرجَعُونْ﴾ لإفادة القصر، أي لا يرجعون إلى الله. أو الحذف أو كان لمس نظام اللغة النحوي.

وتجدر الإشارة إلى هذين النوعين من الانزياحات لا يمكن الفصل بينهما دائما، بل قد يتداخلان و يترتب أحدهما عن الآخر.

- وعليه فإنّ الانزياح يظهر في اللغة في شكلين اثنين تتولد منهما مجموعة من الأشكال والتحليات الانزياحية في اللغة فالأول هو الانزياح الدلالي الذي يرتبط بالصور البلاغية كالاستعارة والتشبيه والمجاز، ولذلك يمكن تسميته بالانزياح التصويري.

والثاني هو الانزياح التركيبي الذي يرتبط كما سبقت الإشارة بالتركيب والنحو والمعجم وما يتصل بينهما.

7-2 الانزياح والأسلوبية:

الأسلوب يعكس فكر الكاتب وشخصيته بناءً على اختياراته الواعية، ولذلك يعمد الكاتب في الكثير من الأحيان إلى مراعاة اختياراته حسب أصناف المتلقين الذين نخاطبهم وسيسعى لجذب الانتباه إليه، وتلك الاختيارات تكون في أغلبها منزاحة عن الأصل كالتقديم والتأخير، أو الحذف والذكر. وبذلك يكون الكاتب قد خالف المألوف وتفنن في إبداع نصه، وقد وصلت معظم الدراسات حول الأسلوب على أنهيعتمد على الانزياح أو ما يطلق عليه الانحراف، حتى إنّ الكثير من الباحثين ربطوا بين مفهوم الأسلوب بوصفه انحرافا عن القاعدة العامة وبين التصور القديم به القائم على أنه طبقة زخرفية تزين النص بالأساليب البلاغية، وهذا ما يساعد على التمييز بين المحسنات الموجودة في النص وبين الأساس العادي المألوف للغة المستعملة.

وبناء على ما ذكر فإن علم الأسلوب هو انحراف عن القاعدة المألوفة في نص ما، ومحاولة العثور على تلك الانحرافات وتحديد مستواها وتحليلها[12].

3 -ظاهرة الانزياح في شعر نازك الملائكة (انزياح الصورة الشعرية في شعر نازك الملائكة):

إنّ الصورة الشعرية من أهم مكونات النسق الشعري الجميل و هي راقد يمد التجربة الشعرية بطاقات تعبيرية قادرة على شحن السياقات بمجموعة مدهشة من الأشكال التصويرية يقول الناقد الغربي "جان كوهين" إنّ الشعر انزياح عن معيار هو قانون اللغة، فكل صورة تخرق قاعدة من قواعد اللغة أو مبدأ من مبادئها .

وهذا النموذج من قصيدة نهاية السلم، بدايته ونهايته تفرض أنّ النص ينتمي إلى خطاب المعاصرة والتحديث، إذ أنّ النص يخرق البيئة الإيقاعية التقليدية ويوظف لغة شعرية تتمثل في الانزياح واستعمال الرمز والتعبير عن تجربة اليأس والقلق فهي تجربة إنسانية ذاتية.

فنلاحظ أنّ الشاعرة قد عبرت عن تجربتها لمجموعة مختلفة من الصور الشعرية الجديدة مثل الانزياح:

أنت هناك وراء مدى الأحلام...

...حبا يتضرع مذعورا...

عضت في قدميه الأشواك...

...مرت أيام لم تتذكر أن هناك...

في زاوية من قلبك حبا مهجورا...

...عضت في قدميه الأشواك...

...حبا يتضرع مذعورا...

هبه النورا...[13].

وإذ نظرنا إلى المعاجم الأدبية في تعريف الصورة فإنه لا يتجاوز (التشبيه، الاستعارة والمجاز والكناية أو لغة التجسيد والتشخيص) ويربطها بعض النقاد بالبناء الفني للقصيدة وفي هذا المجال ندفع إلى دراسة انزياح الصورة في شعر الشاعرة متمثلة في الانزياح الاستعاري، الانزياح الكنائي والانزياح المجازي.

1-3 الانزياح الاستعاري: اهتم أهل الأدب والنقد بالاستعارة اهتماما شديدا فحظيت بالعناية والدراسة منذ أرسطو،" الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضعاللغوي. معروفا تدل على الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أوغير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم ."[14]

قد استمدت نازك الملائكة في خطابها الشعري الاستعارة لتجميل الصورة الشعرية وإيصال مقصودها إلى المتلقي:

...أين من هذه الحياة ابتساما...

...ت الأماني ونشوة الأفراح...[15]

يتمثل انزياحات هذا البيت من الشعر في "ابتسامات الأماني" فتخرج الشاعرة عن الكلام العادي والمألوف بإسناد الابتسام للأماني وفي الحقيقة تشبه نازك الوصول إلى الأماني بإنسان مبتسم، كما أسلفنا القول نظرة الشاعرة إلى الدنيا هي نظرة متشائمة هذا البيت من قصيدة " البحث عن السعادة" تعتقد أن البحث عن السعادة في الدنيا من دون جدوى وفي هذا البيت تقول إنّ بين هذه الحياة والأفراح والوصول إلى الأماني والآمال يُعد شاسع جدا كما تقول في مطلع هذه القصيدة:

...قد بحثنا عن السعادة لكن

...ما عثرنا بكوخها المسحور[16]

تريد الشاعرة القول إنّ الذكريات تحي ذكرى القلوب، فقد استخدمت صورة غريبة وغير مألوفة لإعجاب المتلقي في عالم الواقع، إذ إنّ التحنيط يحول دون زوال جسم الإنسان داخل القبر وترى القلوب أجساما يحول دون زوالها تحنيط الذكريات فعبارة "يد الذكريات" تنزاح عن معناها الحقيقي إلى معنى المجازي إذ أنّ ليس للذكريات يد تحنط بها رفات القلوب لكن الشاعرة قد تستعيد يدا للذكريات عبر الاستعارة المكنية.

...لن تنوح الحياة إن متم أن...

...نم فغنوا ولا تنوحوا عليها...

...فهي تلك الحلوب تبسم للأد...

...يا و السم كامن في يديها...

أسندت الشاعرة صفات إنسانية للحياة من" من نوح وبكاء وتبسم ويدين" لتصور مدى زين وخداع هذا الملذات التي تعقبها إلا الحسرات فالحياة في نظرها جميلة كامرأة حسنة المنظر دائمة التبسم لكنها تضمر الشر بداخلها إذ أن شكلها الخارجي لا يعكس ما بداخلها، مثلها الحياة بكل ما فيها من جمال ومتع ومباهج فهي سطحية لكن من يتعمق في دواخلها لا يجد إلا الشقاء والعذاب، تتربص بالبشر فمع الجمال يكمن الموت والهلاك فتحث الإنسان على أن ينعم بالحياة بمجرياتها وأحداثها المؤلمة[17].

وتقرأ في ديوانها

...ويثمر غصن الكون و وجه الدنى يتغير...

...ويمطر نجم...

...وفي شفتي يتفتف بيدر[18]

يشتمل بنية الصورة المحورية في هذا المقطع على صورة متقدمة " ويثمر غصن الكون"، "وجه الدجى يتغير" " ويمطر النجم" " وفي شفتي يتفتف البيدر" فهذه الصور كلها تستند إلى مرجع معنوي تعمل ألا وجه البلاغية على لغة تسيجه بالغموض، وتتمثل هذه ألا وجه الاستعارة الدالة على التجسيد المتحقق من استعارة الغصن للكون والوجه للدجى فيتمثل الانزياح عبر استعمال هذه الاستعارات.

2-3 الانزياح الكنائي: تعد الكناية أحد الأساليب البلاغية التي تقوم على عنصر الانزياح وإنّ الصورة الكنائية في أي عمل أدبي تقوم على الإيحاء، فقد عبرت الشاعرة بواسطة أسلوب الانزياح الكنائي عن كل ما يعتري كوامتها الداخلية في لعبها بالألفاظ و انزياحها من التصريح إلى التلميح وهذا ما جمل نصوصه وأضفى عليها قيم دلالية أسلوبية سطت على فكر قارئها.

وخسي الدمع إن الخيام عنيدة...

...وأماني العدو بليدة...

...والنجوم بعيدة[19]

في هذا المقطع الشعري تنزاح العبارة" الخيام عنيدة" عن معناها الأصلي إذ أنّ العناد صفة للإنسان و لكن الشاعرة تنسب العناد إلى الخيام و في اللغة المعيارية لا ينسب العناد إلى الخيام

...مرت أيام منطفئات...

...لم نلتقي حتى طبق سراب...

...وأنا وحدي أقتات بوقع خطي الظلمات...

...خلف زجاج النافذة القطة، خلف الباب...[20]

تصف الشاعرة الأيام بمنطفئات وفي الحقيقة الانطفاء ليس صفة الأيام في اللغة اليومية والعادية ولكنها تكنى بها عن قسوة تلك الأيام وانعدام البهجة فيها حتى في أحلامها التي ضنت ولو كانت خيالا، فقد أصبح اللقاء هو الأمل الذي تعيش من أجله والانتظار صار سبيلها الوحيد الذي عبرت عنه أجمل تعبير في قولها أقتات بوقع خطى الظلمات، بما فيه من إيحاء خفي بصعوبة تحقيق هذا اللقاء على الرغم منه أنه أساس الحياة بالنسبة إليها. فالطعام هو سبيل استمرار الحياة و الشاعرة تقتات لتبقى على حياتها ولكم بم تقتات؟ بوقع خطى الظلمات و الذي يوحي بوهن خيط الأمل[21].

وقول في قصيدة صلاح الأشباح

تململت الساعة الباردة

على البرج في الظلمة الخامدة

ومدت يدا من النحاس

يدأ الأساطير بوذا يحركها في احتراس

يدا الرجل المنتصب

على ساعة البرج في صمته السرميدي

يحدق في وجمة المكتب

وتقذف عيناه سبيل الظلام الدجى

على القلعة الراقدة

على الميتين الذي عيونهم لا تموت

صلاة صلاة [22]

إنّ القصيدة دعوة إلى التطهير من واقع ممتلئ بالآثام، والناس في هذا المشهد الدرامي يتجهون تحت وطأة محاسبته الضمير إلى ساحة التطهير و يستمر المشهد بالخروج إلى حياة جديدة من شجن القلعة المظلمة.

3-3 الانزياح المجازي: أسلوب المجاز أهميته إن يعبر به الشاعر عن أفكاره ورؤاه التي تترك أثرها في القارئ عندما ينقضى بنى النص للوصول إلى المعنى الحقيقي وهنا تمكن بلاغة أسلوب المجاز، أما قيمته فتكمن في ولادة المعنى الثاني الذي يفهم من اللفظ الأصلي عندما يدخل على بنيته الانزياح.

...لم أجد عند ذلك الشاحب...

...الصامت إلا مرارة الأقداح...[23]

المرارة تتناسب المأكولات والمشروبات أما إذا نسبت إلى غير ذلك هناك خرق في قوانين اللغة ويبدو عليها الانزياح جليا واضحا، تصف نازك الملائكة الأقداح بالمرارة بينما نعلم أنّ هذا التعبير غير مألوف لنا في قوانين اللغة العادية.

...نحن تحت الليل العميق...

...وقريبا تدوسا قدماه...[24]

هل يمكن لليل أن يدوس شيئا بقدميه؟ أم تدوس الجنود و الجيوش بأقدامها؟ فلماذا تقول الشاعرة أن الليل تدوس قدماه عن كثب؟ ما هي العلاقة بين الدوس والليل؟ وبما تقصد الشاعرة هجوم الجنود ليلا فلهذا تسند هذا الهجوم إلى الليل و هذا يدل أن الشاعرة استخدمت مجازعقلي علاقتها الإسناد إلى الزمان ذلك لأنها أسندت الدوس إلى الليل وفي الحقيقة الليل يعد زمان يحدث فيه الدوس.

هناك إنزياح جميل آخر في البيت وهو في كلمة قدماه إذ تشبه الشاعرة الليل بالإنسان أو الحيوان فتأتي بلوازمه وهو قدماه فهي هنا استعارة مكنية أصلية مرشحة .

4-3 ظاهرة المفارقة:

لغة: في التعريف المعجمي لا نجد المفارقة كمصطلح، لكن التعريف نستمده من الجذر الثلاثي (ف،ر،ق) بفتح الفاء والراء والقاف مصدرها (فرق) والفرق في اللغة خلاف الجمع، والفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمي كذلك لتفريقهبين الحق والباطل(25)، وجاء في أساس البلاغة للزمخشري "وفرق لي الطريق فروقا وإنفراق إنفراقا، إذا اتجه لك طريقان فاستبان ما يجب سلوكه منهما، و طريق أفرق بين وضم تفاريق متاعه أي ما تفرق منه"(26).

اصطلاحاً: إنّ مفهوم المفارقة مفهوم يتطور ويتغير من عصر إلى آخر، لذلك لا يمكن الإمساك بمفهوم نهائي لها" فكلمة مفارقة لا تعني اليوم ما كانت تعنيه في عصور سابقة ولا تعني في قطر بعينيه كل ما يمكن أن تعنيه في المكتب ولا عند باحث ما يمكن أن تعنيه عند باحث آخر، فالظواهر المختلفة التي تطلق عليها المفارقة قد تبو ضعيفة الارتباط ببعضها جداً.[27]

لذلك فان تعريفها مرتبط بتاريخ استعمالها "وتاريخ استعمال المفارقة هو تاريخ طويلفهو مفهوم متحرك غير ثابت ومن هنا فإنّ أي تعريف لها على وجه المطلق يعد جهلاوالأخذ به سخف فلا بد أن يكون تعريفها تعريفا دقيقا من حيث ارتباطها بزمن محدود واستعمال محدد أيضا، ويستدعي ذلك بالطبع خلفية تاريخية عامة لنشأتها والأهم التنقلات الفكرية النوعية في تاريخها[28].

والمفارقة عند علي عشري زايد "تكتيك فني يستخدمه الشاعر المعاصر لإبراز التناقض بين طرفين بينهما نوع من التناقض"[29].

1-4-3 عناصر المفارقة: ترتبط المفارقة بعدة عناصر لتحقيق اكتمالها وهذه العناصر تختلف من حيث النوع والشكل فكل عنصر له أهميته وميزاته التي تفرقه عن غيره من بقية العناصر و بما أن المفارقة هي في أصل توجيهها، توجه إلى قارئ ليتمعن فيها ويعيد إنتاجها، ويمكن ترجمة هذه العناصر العامة إلى عناصر مفارقة كما يلي:

المرسل ⟵ صانع المفارقة.

المستقبل ⟵ متلق واع جذر يعيد إنتاج الرسالة.

الرسالة ⟵ البنية المفارقة/ تخضع لإعادة تفسير[30]

فهذه العناصر العامة تؤطر المفارقة وتبين لمن تقال ومن يتلقاها.

- ✓ **ازدواج المعنى**: إنّ هذا العنصر مهم في المفارقة وتحقيق اكتمالها فقد ركز أغلب الدارسين على أهميته في البناء المفارقي.
- ✓ **التناقض**: ويعني التضاد بين المستويين المستوى السطحي و المستوى العميق.
- ✓ **التظاهر**: يرتبط التظاهر ارتباطا شديدا بالمفارقة.
- ✓ **المراوغة**: وتكون أقرب إلى المفارقة اللغوية.
- ✓ **المغافلة**: ترتبط بموافقة الموقف.

✓ **القرينة أو المفتاح**: يمثل القرينة أو المفتاح الإشارات التي يتركها المؤلف صاحب المفارقة.

✓ **التعدد أو عدم الإجماع**: هذا العنصر يشير إلى أنّ النص متعدد الدلالات الصحية وهذا العنصر ذو أهمية بالغة في عملية المفارقة.

2-4-3 أنواع المفارقة:

ليس من السهل حصر كل أنواع المفارقة فهي كثيرة وتختلف من دراسة إلى أخرى.

✓ **المفارقة اللفظية:** والمقصود بها أن المعنى الظاهر للفظ يغاير ويناقض المعنى العميق.

✓ **المفارقة الهادفة**: وهي أنّ صاحب المفارقة يقدم نصه منشطرا أن يفهم المعنى النقيض للمعنى الحرفي.

✓ **المفارقة الملحوظة**: هي أقرب المسرح جميع المفارقات الملحوظة المسرحية.

✓ **المفارقة الدراسية**: ترجع جذور المفارقة الدرامية وارتباطها المسرحي اليوناني.

✓ **المفارقة البنائية**: تتمثل في قدرة القارئ على تخيل ما يريد الكاتب أو المؤلف الوصول إليه من معنى.

✓ **مفارقة السلوك الحركي**: تظهر كسلوك وحركات تبين كيفية التعامل من وقعت عليه الصيغة.

✓ **مفارقة النغمة**: هي ما يظهر في المنطوق من تضاد و جد تفسيره.

تصنف نازك الملائكة حياتها في القصيدة التي وجهتها إلى الشاعر الانجليزي جون كيتس في ديوانها الأول "عاشقة الليل" بأنها حياة فتاة من الحالمين وتقول عن نفسها في مكان آخر بأنها شاعرة الأحلام وتكرر كلمة "الحلم" في شعرها بإفراط يلفت النظر حتى لاتكاد قصيدة من قصائدها تخلو من وجود للفظة أو الأجواء التي تعبر عنها، وهو أمر

ليس غريبا كما هو معروف على الشعر والشعراء العرب و غير العرب من الذين يلعب "الحلم" في حياتهم و شعرهم دورا أساسيا.

وبطبيعة الحال ليست نازك الملائكة وحدها شاعرة الأحلام بين زميلاتها وزملائها الشعراء الرمنسيين ولكن حدة المفارقة التي يرسمها شعر نازك تجعل الدارس مضطرا لتوجيه الانتباه إلى هذه الناحية من شعرها بغية فهمه بطريقة أفضل و على سبيل المثال يمكننا أن ننظر إلى الحزن الذي تكتظ به دواوين الشاعرة على أنه الوجه المناقض للسعادة المفقودة في ظل غياب العناصر التي يتحقق بها الحلم الذي حلمت به الشاعرة وجعلت منه وتملأها بسوداوية مريرة ناشئ من إحساس الشاعرة بقداحة الخطأ الذي ارتكبه الواقع في مواجهة حلم الشاعرة و هي تلتمس لهذا الواقع وجوها و أسبابا هي الأيام مرة: ترفعنا الأحلام فوق السها

ترفعنا الأحلام فوق السها...

...وتهدم الأيام ما نأمل...[31]

وهي الموت و الفناء مرة أخرى:

أكذا الموت وتنقضى أحلامنا...

...في لحظة وإلى الغناء تصهر...؟[32]

ولئن كانت القصيدة غير قادرة أحيانا على الإفصاح عن ماهية "الحلم" أو تحديد عناصره، فإن ذلك ليس مهماً طالما كانت الشاعرة قادرة دوما على أن تستمد منه الطاقة الضرورية التي تندفع بالنص نحو آفاق جديدة تقع في تلك المنطقة الوسطى بين الواقع و الخيال.

يبدو أن الشاعرة نفسها قد فطنت في وقت مبكر إلى ماضي محاولتها تلك من غرابة فقالت في أحد مقاطع قصيدتها الطويلة "مأساة الحياة"

فأثارت كآبتي عجب الناس من سرها المجهول...

...مادروا أنني أنوح...

على مأساتهم في ظلامها المسدول...[33]

مع ذلك تبقى المفارقة الأساسية التي تواجهنا ونحن نحاول دراسته "بنية الحلم" في قصيدة نازك الملائكة قائمة في صعوبة فضل المحتوى الذي ينطوي عليه الحلم على طريقة الشاعرة في التعبير عنه، ذلك أنه إذا أمكن أن تتعرف على الشكل عن طريق مقابلته بمحتوى خارج عنه فإن البنية هي المحتوى ذاته وقد أزح في تنظيم لغوي يكشف عن خاصية من خصائصها الواقع، ولئن كان الحلم الذي بداخل قصائد نازك أو مقاطع منها، وتنطوي "بنية الحلم" على أمور أساسية منها:

- إنّ حدود هذا الحلم ليست حدود الواقع، بل ما يمكن تصوره من عناصر هذا الواقع.
- أن حدود هذا الذي يمكن تصوره من عالم الرغبة التي تحرر كل ما يثير القلق.
- أنّ عالم الحلم يقع برمته في ذهن الحالم أي أنه يعيش على هامش الواقع البشري وليس في مركزه(34)، فلا وجود للتجربة الواقعية إلا بوصفها بعد ممكن من أبعاد حياة عالمة.
- وأخيرا فإنّ حلم نازك الملائكة ليس (رؤيا) تكتب في القصيدة طبيعة استعارية شاملة يمكن معها تحقيق نوع من الانزياح الأساسي عن الواقع عن طريق إقامةبنية شعريةحلمية يشكل الواقع إزاءها ما يشبه الذكرى أو المحفز الدائم نحو الايغال في الكتابة الشعرية بعيدا عن القيود الواقعية الثقيلة.

- أما الصوت الذي يرتبط وجود الحلم في شعر نازك الملائكة بوجوده غالبا فهو صوت يأتي من الماضي أو يعيل إليه، وأنّ وظيفته محددة باستعادة الحلم ولذلك فهو (معروف) عند الشاعرة:

ذلك الصوت الذي يعرفه سمعي مليا...

...صوت ماضي الذي مات وما خلق شيا...[35]

وهي تصفه مرة بأنه "صوت الضمير" الذي يبدو عندها دائما "أحبش" رهيب رنين " هذه الحالة الحلمية تجعل خيال نازك الملائكة يتصل بالمسموع أكثر من اتصاله بالمرئي كما يقول إحسان عباس.

ففي قصيدة "مرئية إلى الظلام" تقول نازك الملائكة:

لاحت الظلمة في الأفق...ومضت أصدقاؤه...نحنو كهوف الذكريات

كوب عكست أعماقه لون الرحيق...إذا همسته شفتايا.

كل من يقرأ هذه الجمل التي غابت فيها النفس التراجيدي يلاحظ مدى التوافق المعنوي فيها ومدى أخلاقيتها لا تتبع الشعر أو الخيال أو المفارقة الاندهاشية والحسية أو المعرفية دون ترابطها مع أفعال ترى في الأشياء وجهها اللاتوافقي

4- **خاتمة**:

لقد اهتمت الدراسات النقدية بالأسلوبية بوصفها منهجا نقديا، وأسهمت في الحديث عن طبيعتها وعلاقتها، ووسائل بنائها وخصائصها الفنية إذ تعد هذه الدراسات من بين المناهج النقدية الحديثة التي تعني بدراسة النص الأدبي كما تعد الأسلوبية مجالا من مجالات البحث المعاصر فتعد المفارقة و الانزياح من المصطلحات الشائعة في الدراسة الأسلوبية، والانزياح والمفارقة فهي عبارة عن بيان بالرغم من أنّ التعليل يبدو

ظاهريا، لهما أثر واسع في الشعر العربي المعاصر وكما اتخذنا شعر نازك الملائكة كمثاللتجسيدهاتان الظاهرتان وشرحهما، وانّ التجديد في شعر نازك الملائكة ليس مقصورا علىالشكل وإجادتها في مذهبها ليست قائمة على حدود التخلص من الثقفية والمساواة بين شعري البيت، هذه حقيقة لابد لمن يقلدون هذا الاتجاه وهم لا يتمتعون بها وهبته الشاعرة من قدرة فنية فذة و إرهاق عجيب وتعمق بجوانب النفس واستشعار لخطوات الحلم و إيمان بحرية الفن وطلاقته.

فمثل هذه الظواهر تظهر بظهور إبداعات الشعراء ومجهوداتهم، وتتحقق الشعرية اللغوية باستعمال اللغة استعمالا خاصا يخرج بها عن المتعارف عليه والمألوف ويسمى هذا الخروج إما انزياحا أو مفارقة ويحدث بخرق قواعد المعجم والنحو.

*** *** ***

5. الهوامش:

[1] ابن فارس، مقاييس اللغة، دار الفكر" القاهرة، 1979، ط3، ص 39.

[2] أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب لبنان، ط1/ج2 ص 104.

[3] إسماعيل شكري، نقد مفهوم الانزياح، مجلة فكرونقد، بغداد العدد 23 نوفمبر1999، ص81 .

[4] عبد السلام المسدي، الأسلوب و الأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ط3، لبنان بيروت، ص103.

[5] سامية محصول مجلة دراسات أدبية، العدد الخامس، فبراير2010.

[6] محمد ويس،الانزياح من خلال الدراسات الأسلوبية،المؤسسة الجامعية للدراسات2005، ص82.

[7] الخليل ابن أحمد الفراهيدي، معجم العين مادة عدل، دون طبعة ن دون صفحة.

[8] عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصرفي القاهرة، ط1، ص 141.

[9] ابوعبيدة ابن الجراح، مجاز القرآن مكتبة الخانجي القاهرة،1981، ط2، ص18-19 .

[10] صلاح فضل، علم الأسلوب ومبادئه وإجراءاته، دار الشروق القاهرة، 1998، ص 212.

[11] المرجع نفسه، ص 211.

[12] نفسه، ص 87-208.

[13] أبو بكر عبد القادر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني دلائل الإعجاز في المعاني، 2009، دون طبعة، ص 27.

[14] نازك الملائكة الديوان المجلد الأول _دار النشر بيروت، دار العودة، 1997، ط1 /6/8.

[15] المصدر نفسه، 1/66.

[16] المصدر نفسه، 2/48.

[17] محمد ابن إبراهيم السبيعي 1433 هـ السعودية، دون طبعة، ص 41.

[18] المصدر نفسه، ص 113.

[19] المصدر نفسه، ص 278.

[20] المصدر نفسه، 2/111.

[21] صادق أيوب الاستنباط وأحكامه في الفقه الإسلامي 2007 ، العراق "دمشق" ص 107.

[22] محمد ابن إبراهيم السبيعي 1433 هـ السعودية، دون طبعة، ص 2/389.

[23] المصدر نفسه، 1/99.

[24] المصدر نفسه، 1/212.

[25] ابن منظور ، لسان العرب دار صادر بيروت، 1997 ط6 مح 10 مادة فرق ص 299.

[26] الزمخشري، أساس البلاغة محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية بيروت، 1997 ط1، ج2، ص 20.

[27] دي، سي ميويك، موسوعة المصطلح النقدي، ص 129.

[28] حسين حماد، المفارقة في النص الروائي ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، 2005، ط1، ص 20.

[29] علي عشيري زايد،عن بناء القصيدة العربية الحديثة،مكتبة الأدب القاهرة، 2008، ط5، ص 130.

[30] ناصر شبانة، المفارقة في الشعر العربي الحديث أمل دنقل،سعدي يوسف ومحمود درويش نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت2002 -ط1، ص52.

[31] نازك الملائكة، الديوان "عاشقة الليل" قصيدة المقبرة الغريقة، ط1، ص 47.

[32] المصدر نفسه.

[33] نازك الملائكة، الديوان "عاشقة الليل" قصيدة مأساة الحياة، ط1، ص 41.

[34] نور ثوب فراي، تشريح النقد، دار النشر الأردن، ط1، ص 236.

[35] نازك الملائكة الديوان الثالث، كتاب قرارة الموجة، بغداد، 1957، ط3، ص 94.

المواقع الالكترونية:

- Alukh.net/literature-language/0/12.
- Mawdo3.com
- Researchgate.net/profile/boutahar-B
- Ar.wikipedia.org/wiki
- مجلة نزوة-Nizwa.com
- Storyboardthat.com/ar/literary.tem.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊